كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

محاضـــرات فـــي مقيـــاس سوســـيولوجيا الـــرابط الاجتمـــاعي د. تـــالي جمـــال

عنوان الليسانس: **علم اجتماع** اسم الوحدة: **أساسية** الرصيد:**5** المعامل:**2**

المحاضرة الخامسة: الرابط الاجتماعية عند إميل دوركايم

يعتبر إميل دوركايم، من أهم و أشهر علماء الاجتماع الفرنسيين، وذلك لما وهبه من أفكار ونظريات اجتماعية، وما نشره من أبحاث ومؤلفات، ودراساتـقيّمة في حقول علم الاجتماع والفلسفة والتربية، استطاعت أن تؤثر فيما بعد، في أفكار وأطروحات عدد كبير، من علماء الاجتماع على حد سواء، ويمكن اعتبار العالم دوركايم من أقطاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية.

لقد تعرض دوركايم لموضوع الرابط الاجتماعي، من خلال كتابه تقسيم العمل الاجتماعي 1893، عندما تحدث عن التضامن الاجتماعي الآلي Mécaniqueوالعضوي Organique وذلك بمقارنته للمجتمعات القديمة أو البدائية والمجتمعات الحديثة أو الصناعية لأن الأولى تتميز بالتماسك الآلي، والثانية يسود فيها التماسك العضوي.

يمكن أن نشير الى التصنيف الئي قدمه دور كايم للظاهرة الاجتماعية على أنها ضرب من السلوك ثابتا كان أو غير ثابت. ويمكن أن يباشر نوعا من الضغط الخارجي على الأفراد، كما يعتبر كل سلوك يعم في المجتمع بعمومه. وبهذه المميزات يمكن أن نحدد خصائص هذه الظاهرة في النقاط التالية:[1]

-1أنها **جماعية:** أي أنها تختص بسلوك وبنية الجماعة وليس الفرد وتظهر هذه الظاهرة في السلوكيات الجماعية ذات اتساق و انسجام، ولها أبعاد منهجية تختص بعلم الاجتماع عنده وهي علم الجماعة وليس علم الأفراد وبذلك يميزه عن علم النفس.

– 2الالتزام: ويكون بمعنى حالة القهر و الجبر التي يمارسها السلوك الجماعي كظاهرة اجتماعية على الأفراد وانتقال التقليد والسلوك الاجتماعي بما يسمى العدوى الاجتماعية.

–3الطابع الإنساني: هذه الخاصية تميزه حيث أن الظاهرة الاجتماعية تتعلق بالمجتمع الإنساني دون غيره من المجتمعات الأخرى كما يتميز منهجها الذي يختص بالبحث الاجتماعي الإنساني عن غيره من البحوث و المناهج التي تختص عن بقية المناهج البحثية الأخرى.

–4التلقائية: وتشكل هنا الظاهرة الاجتماعية حالة تلقائية وطبيعية لوجود الحياة الاجتماعية وعادة التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

–5الترابط: ويكمن في الظاهرة الاجتماعية الترابط أي أن عناصرها تترابط ترابطا عضويا ووظيفيا وعموما فالظاهرة الاجتماعية تشتق بين المظاهر الجمعية– المعتقدات، الممارسات الجمعية.ويمكن التعرف عليها بواسطة القوة القاهرة التي تمارسها على الأفراد والمتجسدة في أنماط السلوك.

كما يرى دوركايم أن الأفراد في المجتمع البدائي متجانسون، وتقسيم العمل الاجتماعي، يأخذ شكلا بسيطا ويقصد بذلك أن الرابطة الاجتماعية، ضئيلة من حيث العمل الاجتماعي، فالأفراد لا يتقاسمون الأعمال بدرجة كبيرة، لأن معظمهم يمارسون نشاطا واحدا، يتمثل في النشاط الفلاحي والرعوي، ومن جهة أخرى الرابطة الاجتماعية قوية، بين الأفراد لوجود عامل القرابة والتقاليد الواحدة، كما أن لديهم رأي عام واحد، وتتسم المسؤولية فيه جماعية، إضافة إلى المكانة تورث ولاتُكتسب.[2]

أما في المجتمع الحديث أو الصناعي فالتماسك عضوي، أي أن هناك تضامن وترابط عضوي بين أفراد المجتمع، حيث يبدو تقسيم العمل الاجتماعي واضحا، وذلك لتمايز الوظائف واختلاف الأعمال بين أفراد المجتمع، فكل فرد لديه وظيفة يؤديها، يفيد بها غيره ويستفيد من غيره، عن طريق الوظائف الاجتماعية، التي يؤدونها من خلال تقسيم العمل الاجتماعي، وهنا الأفراد يشكلون رابطة اجتماعية من خلال تقسيم الوظائف والأعمال، إلا أن هذه الرابطة تكون من خلال الوظائف كما قلنا، أي أنها تضعف عن الرابطة الاجتماعية في المجتمع البدائي، لأن الأولى تمتاز بالقوة، لتشابه الوظائف والرأي العام واحد، ويسود فيها الضمير الجمعي السائد.

حيث يذهب دوركايم إلى القول بأن "أول شكل اجتماعي، يمكن تصوره أو افتراضه، لنشأة الحياة الاجتماعية، هو الرابط، ثم العشيرة ثم الاتحاد أو الأخوة وأخيرا القبيلة."[3] حيث تُعد جميع هذه التنظيمات بدائية و بسيطة والرابط الاجتماعي فيها قوي، بينما المجتمعات الحديثة، هي مجتمعاتـ ُعقدة تخضع لتقسيم العمل، وهي المجتمعات التي يحدث فيها التضامن الاجتماعي في الأعمال بكثرة أو بقوة، وذلك لتحقيق التكامل بين الأفراد، فتقسيم العمل يؤدي إلى الوحدة والتضامن الاجتماعيين في الأعمال من أجل البقاء.

إذن لاحظ دوركايم بأن الروابط الاجتماعية، قد تبدلت مع التطور الإقتصادي، فالتحول من مجتمع إطاره أناس كثيرة التشابه، إلى مجتمع مختلف تماما، أي من تضامن آلي إلى عضوي، لهذا كانت من أهم انشغالات دوركايم الإشارة إلى أن تقسيم العمل، تحت ملامحه المهنية على الأخص وتكاثر المهن المختلفة و الأشغال

المختلفة، مع إلتزامات خاصة بكل عمل و بكل مهنة كلما تقترض نظاما بينا بالرغم من نشاطاتهم هي إضافية.[4]

كما يبدو أن التضامن عند دوركايم مرتبط بتقسيم العمل فقط، أي أنه لا يوجد في المجتمع الذي لا يعرف شكلا من أشكال تقسيم العمل، أم أن التضامن قائم في المجتمع سواء عرف تقسيم العمل أم لم يعرفه. لكن الاختلاف يكمن في نوعية التضامن، ففي المجتمعات البسيطة التي لا تعرف تقسيم العمل، يكون التضامن آليا ،تستمد الرابطة الاجتماعية قوتها من الضمير الجمعي، والقانون القهري وعندما يزداد تعقد المجتمع، ودرجة اللاتجانس فيه يظهر نوع أعلى من التضامن، قائم على تقسيم العمل والتخصص، وتستمد الرابطة الاجتماعية، من القانون التعويضي الذي يحل محل القانون القهري.

وهنا يعد مفهوم الضمير الجمعي، مفهوما أساسيا في فكر دوركايم، فمنه يستمد المجتمع ترابطه وتضامنهُ،عر ّ فه دوركايم في كتابه تقسيم العمل، بأنه "**المجموع الكلي للمعتقدات والعواطف العامة بين معظم أعضاء المجتمع، والتي تشكل نسقا له طابع متميز، ويكتسب هذا الضمير العام واقعا ملموسا، فهو يدوم خلال الزمن**ويدعّ **م الروابط بين الأجيال**".[5] فكل جيل في نظر دوركايم يرتبط بالجيل الذي يليه، عن طريق الضمير الجمعي، فهو"رابطة اجتماعية دائمة عبر الزمن يتألف من التصورات والعواطف الشائعة بين الأفراد، الذين ُكونون غالبية أعضاء الجماعة."[6] كمارعّ فه في كتابه، قواعد المنهج في علم الاجتماع كالتالي:"الضمير الجمعي، يمارس على الأفراد ضغطا بحيث يخلُق

بينهم تماثلا عقليا وعاطفيا... وهذا الضمير جوهرة التصورات الجمعية، التي تنشأ من تفاعل الأفراد وترابطهم."[7]

كما يرى أن الضمير الجمعي يكون قويا وواضحا، في المجتمعات البدائية التي تتميز بالترابط الآلي، حيث يسيطر الضمير على الأفراد وأخلاقهم، لأن الفرد هنا إذا خرج عن العادات والتقاليد يصبح مذموما من طرف جماعته وكأنه ارتكب جُرما، هذا ما يوضح أن الضمير الجمعي يسيطر على الأفراد، ويجعلهم يتماسكون بجماعتهم التي ينتمون إليها ويعيشون فيها، أما في المجتمع الحديث أو الحضاري، يكثر فيه تقسيم العمل ،يحتاج كما قلنا كل واحد لخدمات الآخرين، إلا أن الفردية تكون واضحة، سواء عند المسؤولية أو الجزاء. وكلما يزيد التضامن العضوي، كلما تقل أهمية الضمير الجمعي، بسبب التقدم وتطور المجتمعات، لأنه في هذه المجتمعات تزول بعض القيم والعادات، التي كانت تربط أفراد الجماعة وتظهر في مكانها القوانين، والجزاءات المكتوبة، تمحي بعض الأعراف التي كانت سائدة مما يجعل الرابطة الاجتماعية، تضعف عما كانت عليه في سابقتها8.

نستنتج من فكر دوركايم عن الرابطة الاجتماعية، أنها تكون قوية وواضحة في المجتمع البدائي لوجود عامل القرابة والتقاليد والأعراف المشتركة وتضعف الروابط الاجتماعية، في المجتمعات الحضارية لانتشار الفردانية Individualisme مما يؤدي إلى زوال بعض القيم والتقاليد، إلا أنه في كلتا الحالتين، يرى دوركايم أن الضمير الجماعي، عبارة عن رابطة اجتماعية، توجد في كل المجتمعات البدائية، والحضارية."الضمير الجماعي رابطة اجتماعية، تنتج عن تجمع عقول الأفراد

والتحامها مما يؤدي إلى ظهور نوع من الوحدة السيكولوجية، المتميزة عن الأفراد ذاتهم."9

حيث يكتسب هذا الضمير العام، واقعا ملموسا فهو يدوم خلال الزمن، و يُدعّم الروابط بين الأجيال لأنه يعيش بين الأفراد و يتخلل حياتهم. فالرابطة الاجتماعية موجودة في كل من المجتمع البدائي والحضري، إلا أن الاختلاف يظهر في نوعية التضامن من آلي إلى عضوي، و الضمير الجمعي السائد.

نهاية نقول ان دور كايم قد حاول في آخر اعماله وبالاخص في كتابه الاشكال الاولى للحياة الدينية الذي كتبه سنة 1912، قد خفف من حدة لهجته القائمة على مقابلة الفرد بالمجتمع حيث قال: ثمة حقيقة مسلم بها وهي كما من وجود اجتماعي الا وله وجود في الوعي الفردي، وان كان معظم ما يحتويه الوعي الفردي صادر عن المجتمعات، ذلك ان جل حالاتنا الواعية لا يمكن ان تمر بها كائنات منعزلة، حيث هذا الوعي الفردي سوف يتجلى على نوع مختلف اذا ما صدر عن كائنات تشكل جمعا من حيث الشكل.[10]

كما أن دراسة دوركايم عن الانتحار مثال جيد لأهمية الحقائق الاجتماعية غير المادية في عمله. في نموذجه الأساسي، التغيرات في الحقائق الاجتماعية غير المادية تسبب التباين في معدلات الانتحار. ميز دوركايم بين أربعة أنواع من الانتحار – الأناني، الإيثارى، اللامعيارى والقدري – ووضح كيف أن كل منها يتأثر بمختلف التغيرات في التيارات الاجتماعية. دراسة الانتحار اعتبرت بواسطة دوركايم ومؤيديه دليل على أن لعلم الاجتماع مكانة شرعية بين العلوم الاجتماعية. وذكر أيضاً، إذا

كان باستطاعة علم الاجتماع توضيح ذلك الفعل الفردي – الانتحار فإنه يمكن استخدامه وبكل تأكيد لتوضيح جوانب في الحياة الاجتماعية أقل فردية.

يسعى دوركايم إلى إبعاد علم الاجتماع كبقية بعض المفكرين الاجتماعيين عن الفلسفة وهي القطيعة التي أحدثها قبله رجال الفكر أمثال توماس الاكويني وكوبرينيك و غليلي، في حين أن شغفه يتطلع إلى الفلسفة الوضعية التي خاض فيها أوجست كونت أشواطا.

وقد طرح دوركايم العديد من الأسئلة في حين بقيت الإجابة غائبة نظرا لكثرة التناقضات التي وقع فيها ولم يفسر بعض الاستفهامات الاجتماعية كتقديمه للمجتمع على الفرد وانتقاله من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي بدون أي صيغة ايجابية تهدف إلى توضيح أو تفسير الظاهرة...من جهة أخرى ينسب لنفسه اعتبارات الفرد سابقا للمجتمع بالتأكيد ملاحظة أكد عليها ابن خلدون قبله ويستشف من خلال القراءات المتعددة لمضامين فكره نجده متأثرا بالفكر الماركسي في كل من الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي في الأنساق الاجتماعي عموما.